الحديث النبوي الشريف في الأندلس خلال القرن الثاني للهجرة

مصطفى حميداتو
إسلام آباد

تكاد تجمع الروايات التاريخية على أن الأندلس فتحت على يد طارق بن زياد البربري [١] الذي أطلق اسمه على جبل طارق GIBRALTAR ، وموسى بن نصير ، سنة اثنتين وتسعين للهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك .

يعتبر الفتح الإسلامي للأندلس حدثاً حضارياً عظيماً ، بزغ به فجرجديد ملأ تلك الربوع عدلاً وعلماً، حتى غدت قبلة العلوم ومصدر الثقافة .

دخلت العلوم الإسلامية الأندلس مع دخول الجيوش الإسلامية الفاتحة التي ضمت عدداً من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

ومن الصحابة الذين دخلوها الْمُنَيْذِرْ اليماني [٢] رضى الله عنه . ذكره البخاري في تاريخه الكبير إذ قال : أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد حدّث بإفريقيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال رضيت بالله ربّاً وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً ، فأنا الزعيم لآخذنّ بيده فأدخله الجنة " كذا ذكره البخاري بالكنية [٣] .

ومن التابعين الذين دخلوا الأندلس : حنش الصنعاني ، ابن شيماسة ، أبو عبد الرحمن الحُبَلي ،.عياض بن عقبة ، على بن رباح اللخمي ، موسى بن نصير فاتح الأندلس ، حيّان بن أبي جبلة القرشي وغيرهم .قال ابن بشكوال : انه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً [٤] هؤلاء الرجال الذين

حملواكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلى الأندلس،كانوا بمثابة النواة الأولى التي انبجس منها نور الهداية في تلك الربوع.

ومنذ إطلالة القرن الثاني للهجرة ظهرت في الأندلس مراكز علمية عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- قرطبة (CORDABA)
- اشبيليا (SEVILLA)
- طليطلة (TOGEDO)
- بلنسية (valencia) ، و غيرها من المراكز التي أنجبت فطاحل العلماء .

ولعل مركز الصدارة في هذا القرن كان من نصيب مدينة قرطبة التي يقول عنها صاحب نفخ الطيب [٥]

"كانت قرطبة في الدولة المروانية قبّة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام ... وإليها كانت الرحلة في الرواية ، إذ كانت مركز الكرماء ، ومعدن العلماء ، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ".

فعلاً ، فإن أغلب المحدثين في تلك الفترة ظهروا فيها . وسنحاول في هذه العجالة أن نترجم لأشهرهم أمثال :

صعصعة بن سلام والغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمن اللخمي ، الذي كان لهم الفضل والسبق في نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إلى تلك الديار خلال القرن الثاني للهجرة .

١- صعصعة بن سلام :

هو صعصعة بن سلام الشامي يكنى، أبا عبدالله .

يروي عن الأوزاعي وعن سعيد بن عبد العزيز ونظرائهما من الشاميين . وكانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وصدراً من أيام هشام بن عبد الرحمن وولّيَ الصلاة بقرطبة [٦]

قال الحميدي : وهو أول من أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي (٧) روى عن صعصعة من أهل الأندلس : عبد الملك بن حبيب وعثمان بن أيوب وغيرهما .

قدم صعصعة بن سلام مصر ، وكتب عنه ، وروى عنه من أهلها : موسى بن ربيع الجمحي ، وصار إلى الأندلس وكتب عنه فيها. وكان أول من أدخل الحديث الأندلس .

ومائة[٨]

٢- الغازي بن قيس :

من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد . رحل في صدر أيام عبد الرحمن بن معاوية ، فسمع من مالك بن أنس المؤطأ . وسمع من محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وعبد الملك بن جريج والأوزاعي وغيرهم ، وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة ، وانصرف إلى الأندلس فكان يقرأ عليه . وقيل : إنه كان يحفظ المؤطأ على ظهر قلب .

روى عن الغازي بن قيس خلق كثير، منهم : عبد الملك بن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب .

يُروى عنه أنه قال : " والله ما كذبت كذبة منذ اغتسلت ولولا أن عمر بن عبد العزيز قاله ما قلته ، وما قاله عمر فخراً ولارياءاً ، وما قاله إلا ليقتدى به " [٩].

قال ابن عبد البر : كان (الغازي بن قيس) عاقلا نبيلاً يروي حديثا كثيراو يتفقه في المسائل ، رأسا في علم القرآن [١٠] توفي الغازي سنة تسع وتسعين ومائة . [١١]

٣- زياد بن عبد الرحمن اللخمي

هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير المعروف بزياد شبطون[١٢] وقيل : إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه من أهل قرطبة يكنى ، أبا عبد الله . سمع من مالك الموطأ ، وله منه سماع هو معروف بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح قاضي الأندلس .

أراده الأمير هشام بن الحكم على القضاء ، فخرج هاربا بنفسه ولم يرجع إلا بعد أن أمّنه .

وروى زياد بن عبد الرحمن كذلك : عن الليث بن سعد ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ، ويحي بن أيوب ، وموسى بن على بن رباح ، ومحمد بن أبي سلمة ، وسفيان بن عيينة وعمر بن قيس وغيرهم [١٣] وروى يحي بن يحي الليثي عن زياد بن عبد الرحمن الموطأ قبل أن يرحل إلى مالك. ثم رحل فأدرك مالكا، فرواه عنه إلا أبواباً من كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك .

يعتبر زياد بن عبد الرحمن أول من

أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس مكملاً متقنا .[١٤]

قال يحي بن يحي الليثي : زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام[١٥]

قال القاضي عياض : وله سماع من مالك مؤلف (يعني الموطأ) وكتاب الجامع له .قال ابن عتّاب : وهو كتاب غريب يشتمل على علم كثير [١٦]

توفي زياد بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، سنة أربع ومائتين .

وفي الحقيقة أن الأندلس عرفت خلال القرن الثاني للهجرة عددا كبيرا من العلماء والفقهاء يضيق المقام بذكر تراجمهم أمثال : سعيد بن عبدوس الذي لقي مالكا وسمع منه الموطأ . وسعيد بن أبي هند (أبو عثمان) الذي كان مالك يسميه حكيم الأندلس .

ويحي بن مضر القيسي وغيرهم ، الذين كان لهم فضل كبير في إيصال الحديث النبوي الشريف إلى تلك الديار ونشره بين أهلها . إلا أنه يمكن القول بأن علم الحديث في الأندلس خلال القرن الثاني ، كان يدور حول موطأ الإمام مالك بن أنس، رحمه الله . الذي يعتبر مرجعا للحديث والفقه ، ولم يظهر كعلم مستقل بذاته .

ومع حلول القرن الثالث للهجرة كان ازدهر هذا العلم وانتشر، وعرف كعلم مستقل بالمعنى الاصطلاحي ، على يد نخبة من المحدثين أمثال : بقي بن مخلد ، ومحمد بن وضاح القرطبي ، وقاسم بن محمد بن قاسم ، ومحمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني وغيرهم ، [١٧] ممن خدموا الحديث وعلومه وألفوا فيه التصانيف الكثيرة .

وقد اقتصرت في هذه العجالة على ذكر العلماء الذين اشتهروا برواية الحديث دون سواهم مخافة الإطالة ، و إلا فموضوع الحديث في الأندلس خلال هذا القرن لاتفي بحقه مثل هذه الأسطر القليلة ـ والله ولي التوفيق .

الهوامش

١- البيان المغرب لابن عذاري المراكشي -الجزء الأول- ص ٤٢

٢- ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب "المنيذر الإفريقي " انظر حاشية الإصابة لان حجر الجزء الثالث

ص ٥٢٨.

وذكر له ابن حجر في الإصابة أسماء منها : أبو المبتذل - أبو المبتذر . الجزء الرابع ص ١٩٢.

٣- التاريخ الكبير للبخاري - الجزء الثامن ـ ص ٧٥، رقم ٢٢٢١ .

٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ التلمساني - جزء ١. ص : ٢٨٧ .

٥- نفح الطيب : الجزء الأول . ص ١٥٣.

٦- تاريخ العلماء لابن الفوضى - الجزء الأول: ٢٤٠.

٧- جذوة المقتبس للحميدي - ص ٢٤٤، ٢٤٥

٨- تاريخ العلماء - الجزء الأول - ص ٢٤٠ . وجذوة المقتبس :ص ٢٤٤.

٩ - رواه ابن عبد البر بسنده إلى الغازي بن قيس أنظر : تاريخ العلماء ج١ ص:٣٨٣.

١٠- ترتيب المدارك للقاضي عياض - الجزءالأول ص :٣٤٨ .

١١- تاريخ العلماء والرواة - الجزء الأول ص ٣٨٣.

١٢- جذوة المقتبس ص ٢١٨، ٢١٩.

١٣- تاريخ العلماء والرواة الجزء الأول ص ١٨٣.

١٤- نفح الطيب الجزء الثاني : ص ٤٥. وكذلك جذوة المقتبس ص ٢١٨-٢١٩.

١٥- ترتيب المدارك الجزء الأول - ص ٣٥٠

١٦- ترتيب المدارك الجزء الأول ص ٣٥٣

١٧- طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨١-٢٨٨.

المراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، للحافظ يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي مكتبة دار المثنى بغداد. بدون تاريخ .

٢- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس - تأليف الضبي ، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة - طبعة دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٧م .

٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي ـ تحقيق : ليفي بروفنسال - طبعة :ليدن هولنده -١٩٥١م.

٤- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، للحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي - طبع في : ١٩٥٤م .

٥- التاريخ الكبير، للإمام محمد بن اسماعيل البخاري ـ دارالكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ

٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي - دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ .

٧- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، لأبي عبد الله بن أبي نصر فتوح الحميدي - الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦م.

٨ - طبقات الحفاظ ، لجلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٣م .

٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تأليف : أحمد بن محمد المقرى التلمساني - دار صادر - بيروت ـ بدون تاريخ .